٤

الثمام وشجرة مريم

فى يوم ١٨ أغسطس وبعد اثنى عشر يوماً على انفجار القنبلة ، سار الأب كلاينسورج على قدميه من دار الرهبان المبتدئين وفى يده حقيبته المصنوعة من الورق المضغوط قاصداً هيروشيما . وقد أخذ يفكر أن لهذه الحقيبة التى يحتفظ فيها بالأشياء ذات القيمة لديه ، قوة سحرية بسبب الحالة التى وجدها فيها بعد الانفجار ؛ إذ كانت قائمة ومقبضها من أعلى على باب غرفته على حين كان المكتب الذى يخبأ هذه الحقيبة تحته قد انتثر قطعاً على الأرض . وهو الآن يستعملها ليحمل عملة الين التى تمتلكها جمعية اليسوعيين ، إلى فرع هيروشيما لبنك العملة فى يوكوهاما ، وقد أعيد فتحه فى داره التى تخربت قليلا ، وكان يشعر فى ذلك الصباح بوجه عام أنه متمالك لقواه . أجل ! إن الجروح الصغيرة التى أصيب بها لم تلتئم فى ثلاثة أيام أو أربعة كما قال رئيس الدار الذى فحصها وتوقع ذلك ، ولكن الأب كلاينسورج تمكن من الراحة أسبوعاً ، وظن أنه صار يستطيع أن يستأنف العمل الشاق . وكان قد اعتاد المنظر الفظيع الذى يمر عليه فى طريقه إلى المدينة ، وقد صارت حقول الأرز الشاسعة على مقربة من دار الرهبان المبتدئين مخططة بالسواد ، والدور فى أطراف المدينة قائمة ولكنها مصابة بنوافذها المكسورة وحواجز سقوفها المتساقطة . ثم يبتدئ فجأة أوائل الأميال الأربعة المربعة من الجرح الأدكن الدامى حيث انهار كل شئ تقريباً واحترق ، وسقطت عمارات المدينة صفا بعد صف . وهنا وهنالك ترى علامات نصبت فوق الرماد والآجر (كتب عليها : « أين أنت

يا أختاه ؟ » ، أو « لقد نجونا جميعاً ونحن نعيش فى تويوسا كا ») وهنالك الأشجار العارية ، وعمد التليفون المنقضة ، والمبانى القليلةالمتخربة التى ظلت قائمة ولكنها تزيد فى بيان كل ما انبسط من الأشياء الأخرى وضوحاً (ومنها متحف العلوم والصناعة ، وقدتطايرت قبته إلى إطارها من الصلب كأنه جثة فتحت للتشريح ، والبناء الحديث للغرفة التجارية ببرجه القائم جامداً بارداً لا ينال قبل الاصابة كما هو بعدها . ومنها كذلك دار بلدية المدينة ، وهى دار ضخمة قليلة الارتفاع كانت أخفيت معالمها . ومنها صف من المصارف العتيقة صارت سخرية بعد أن تدهور النظام الاقتصادى .) وترى بالشوارع آثار حركة نقل مؤلمة ، فى مئات من الدراجات المحترقة وأجسام السيارات وعربات النقل وقد وقفت فى نصف حركتها . وكان الأب كلاينسورج طوال الطريق يؤلمه أن يفكر فى أن هذا الضرر الذى رآه كله حدث فى لحظة واحدة بقنبلة واحدة . وعندما وصل إلى قلب المدينة كان الحر قد اشتد ، فمشى إلى بنك بوكوهاما الذى كان يؤدى العمل فى حانوت خشبى مؤقت أقيم فى الدور الأرضى من بنائه وأودع القس المال . ثم ذهب إلى دار البعثة لكى يلقى نظرة على حطامها مرة أخرى . ثم سار فى طريقه عائداً إلى دار الرهبان المبتدئين . وفى نحو منتصف الطريق بدأ يخالجه إحساس خاص ؛ فهذه الحقيبة السحرية إلى حد ما ، مع أنها خالية الآن ، أخذت تبدو ثقيلة جدا ؛ وتخاذلت ركبتاه ، وشعر بتعب شديد ، واستطاع أن يصل إلى دار الرهبان المبتدئين بعد جهد كبير . ولم ير أن هذا الضعف يستأهل أن يذكره لزملائه اليسوعيين . ولكن بعد يومين وهو يحاول أن يقوم بالصلاة أصابه دوار ، وحاول ثلاث مرات أن يتابع الصلاة ولكنه لم يستطع الاستمرار . وفى اليوم التالى عند ما فحص رئيس الدار جروح الأب كلاينسورج التى كانت فى الظاهر غير هامة ولكنها لم تلتئم ، سأل فى استغراب : « ماذا فعلت بجروحك ؟ » فلقد زادت الجروح اتساعاً فجأة وتورمت والتهبت .

كانت السيدة نكامورا ترتدى ثيابها فى صبيحة يوم ٢٠ أغسطس فى دار أخت زوجها فى كابى التى لا تبعد كثيراً عن نجاتسوكا . ولم تكن السيدة أصيبت بأية جراح أو حروق وإن ظلت تشعر بغثيان هى وأطفالها فى أثناء

الأسبوع الذى قضوه ضيوفاً على الأب كلاينسورج وغيره من الكاثوليك فى دار الرهبان المبتدئين . وأخذت تمشط شعرها ، فاذا بها تلحظ فى أول مرة أن المشط قد حمل معه ما يملأ اليد من الشعر . وفى المرة الثانية حدث مثل هذا، فوقفت التمشيط فى الحال . ولكن فى الأيام الثلاثة أو الأربعة التالية ظل شعرها يتساقط من تلقاء نفسه حتى صارت صلعاء تماماً ، فلازمت البيت حتى لتكاد تختبئ فيه . وفى يوم ٢٦ أغسطس استيقظت هى وابنتها الصغيرة ميبكو وهما يشعران بضعف وتعب شديد ، واستمرا ملازمين لفراشهما . أما ابنها والبنت الأخرى ، وهما اللذان شاطراهما كل ما مر بهما من كوارث أثناء إلقاء القنبلة وبعدها ، فقد كانا فى صحة تامة.

فى نحو ذلك الوقت — ولم يعد يذكر الأيام ، لأنه كان يعمل جاهداً لاقامة مكان مؤقت للعبادة فى دار خاصة ، أجرها فى أطراف المدينة — مرض مستر تانيموتو فجأة بتعب عام ودوار وحمى ، وقد لزم هو فراشه أيضاً على أرض دار صديقه التى تحطمت قليلا فى ضاحية أوشيدا .

هؤلاء الأربعة لم يكونوا يعلمون سبب مرضهم ، ولكنهم كانوا مرضى بالمرض العجيب المتقلب الذى عرف فيما بعد بمرض الاشعاع .

ظلت الآنسة سازاكى راقدة فى ألم مستمر ، بمدرسة إلهة الرحمة الابتدائية بجهة هاتسوكايشى ، وهى المحطة الرابعة لخط القطار الكهربائى إلى الجنوب الغربى من هيروشيما . وكان التعفن الداخلى لا يزال يحول دون رد الكسر المركب فى العظام السفلى برجلها اليسرى . وكان هنالك شاب فى المستشفى نفسه يظهر أنه أخذ يتعلق بها بالرغم من انشغالها الذى لا ينقطع بآلامها ، أو لعله أخذته الشفقة بسبب هذه الآلام ، فأعارها ترجمة يابانية لقصص موباسان . وقد حاولت أن تقرأ هذه القصص ولكنها لم تستطع أن تركز عقلها فى القراءة أكثر من أربع دقائق أو خمس دقائق فى المرة .

كانت المستشفيات ومحطات الاسعاف فيما حول هيروشيما مكتظة بالناس فى الأسابيع الأولى بعد الانفجار . وكان رجالها يبدلون بسبب حالتهم الصحية ، ووصول المساعدة غير المنتظرة من الخارج ، فكان لابد من نقل المرضى من مكان إلى مكان . لذلك نقلت الآنسة سازاكى فى أواخر أغسطس إلى مدرسه

هندسية فى هاتسوكايشى مع أنها نقلت من قبل ثلاث مرات ، منها مرتان بالسفينة وكانت حالة رجلها لا تتحسن بل تزيد ورماً ، فقرر أطباء المدرسة أن يشدوا مؤقتاً قطعاً من الخشب حولها ، ويحملوها بالسيارة فى ٩ سبتمبر إلى مستشفى الصليب الأحمر فى هيروشيما . وكانت هذه هى الفرصة الأولى التى رأت فيها خرائب المدينة ؛ لأن المرة الأخيرة التى حملت فيها فى شوارع المدينة ، كانت على حافة الاغماء . وقد وصف لها الخراب من قبل ولكنها كانت لا تزال تشعر بالألم ، غير أن المنظر روعها ودهشت له دهشاً كبيراً ، ولاحظت فيه ما جعل جسدها يقشعر ؛ ففوق كل شئ — بين حطام المدينة ، وفى السقوف المتناثرة ، وعلى شواطئ النهر ، وبين الآجر ، وصفائح السقوف ، وعلى جذور الأشجار المحترقة — كان هنالك بساط أخضر حى جديد يحفز إلى التفاؤل . وقامت هذه الخضرة حتى من أسس الدور المتخربة . وقد بدأ الرماد يختفى تحت الأعشاب ، وازدهرت الأزهار البرية بين عظام المدينة ؛ فان القنبلة لم تترك أصول النباتات سليمة تحت الأرض وحسب بل لقد بعثت فيها أيضاً نشاطاً . ففى كل مكان ترى السوسن الأزرق والأزهار الاسبانية وبقلة اللبن ، وعباد شمس الصباح وزئبق النهار والفول ذا الثمر المجلل بالشعر والرجلة والشبيط والسمسم وشجر مريم . وفى دائرة فى وسط المدينة بنوع خاص نما نبات السناء فى ازدهار عجيب ، لا على بقايا النبات نفسه الذى احترق ، بل فى أماكن جديدة بين الأحجار وفى تشققات الأسفلت ، كأنما قد ألقيت مع القنبلة أحمال من بذوره .

وضعت الآنسة سازاكى فى مستشفى الصليب الأحمر تحت عناية الدكتور سازاكى . ولقد عاد شئ من النظام إلى المستشفى بعد مرور شهر على الانفجار ، ومعنى ذلك أن المرضى الذين كانوا راقدين فى مماشى المستشفى كانوا يجدون حصراً ليناموا عليها ، وأن الأدوية التى نفدت فى الأيام القلائل الأولى ، قد جاء بدلها ، وإن لم يكن بكمية كافية ، تبرعات من المدن الأخرى . وكان دكتور سازاكى ، الذى نام ذات مرة سبع عشرة ساعة فى داره فى الليلة الثالثة ، لا يستريح بعد ذلك إلا ست ساعات فى الليل نائماً على حصير فى المستشفى . وقد انخفض وزنه الضئيل جدا عشرين رطلا أخرى ، وكان لا يزال يضع النظارة التى لا تلائمه على عينيه ، وهى التى أخذها من ممرضة مصابة .

إذ كانت الآنسة سازاكى امرأة ، وكان مرضها شديداً (ولعل ذلك — كما اعترف فيما بعد — لمجرد أن اسمها سازاكى) فقد وضعها الطبيب على حصير فى غرفة تكاد تكون خاصة ، إذ لم يكن بها فى ذلك الوقت غير ثمانية من المرضى . ولقد سألها ، وكتب على بطاقة السجل فى لغة ألمانية صحيحة ، وهى التى كان يكتب بها جميع تسجيلاته : « مريضة متوسطة الحجم فى صحة جيدة على العموم ، بها كسر مركب فى القناة اليسرى فى الجزء الأسفل من رجلها مع تورم ، وفى جلدها والجزء الظاهر من عضوها المخاطى نقط صغيرة حمراء ، هى أنزفة فى حجم حبوب الأرز وأحياناً فى حجم الفول ؛ يضاف إلى ذلك أن رأسها وعينيها ورئتيها وقلبها فى حال عادية فى الظاهر ؛ إلا أن بها حمى . » ، وقد أراد أن يجبر الكسر ثم يضع رجلها فى قالب ، ولكنه كان يعوزه الجبس منذ وقت طويل . لذلك أرقدها على الحصير ووصف لها الأسبيرين للحمى ، وأن تحقن بحقن جلوكوز وأن تتعاطى بفيها بياستاس علاجاً لقلة الغذاء لديها (وهو لم يذكر هذه الحالة المرضية فى سجلها لأن المرضى جميعاً كانوا مصابين بها) . وكانت فيها علامة واحدة فقط من العلائم العجيبة التى أخذت وقتئذ تبدو على سرضاه — وهذه العلامة هى نقط الدم .

كان الدكتور فوجيى لا يزال يلاحقه سوء الحظ مع الأنهار . فقد كان الآن ساكناً فى المنزل الصيفى لمستر أوكوما فى مدينة فوكاوا . وكان هذا المنزل قائماً على حافة الشواطئ العميقة لنهر أوتا ، وهنالك أخذت إصاباته تتحسن وبدا يعالج اللاجئين الذين جاءوا إليه من الجهات الغربية مستعملا المواد الطبية التى كان أودعها مخبأ بالضواحى . ولاحظ فى بعض المرضى مجموعة من الأعراض العجيبة ظهرت فجأة فى الأسبوع الثالث والرابع ، ولكنه لم يكن ليستطيع أكثر من غسل الجراح والحروق . وفى أوائل سبتمبر بدأ المطر ينهمر واستمر غزيراً ، فارتفع النهر . وفى يوم ١٧ سبتمبر أرعدت السحب ثم هب إعصار ، وأخذت المياه تعلو وتعلو إلى جانب الشاطئ ، فذعر مستر أوكوما ودكتور فوجيى والتجآ إلى دار فلاح فوق الجبل (وقد أتى الفيضان فى هيروشيما على ما تركته القنبلة — فجرف الجسور التى سلمت من ضغط القنبلة ، واكتسح الشوارع ، وزعزع أسس الأبنية التى ظلت قائمة . . . وعلى عشرة أميال من الغرب ، حيث كان مستشفى أونو العسكرى وفيه جماعة من الخبراء من

جامعة طوكيو الامبراطورية يدرسون الاصابات التى حلت أخيراً بالمرضى ، تدحرج المستشفى فجأة فوق جانب من الجبل جميل ومجلل بأشجار الصنوبر ، وسقط إلى البحر الداخلى ؛ وغرق أكثر الباحثين ومرضاهم ذوى الأمراض الغريبة .) وبعد العاصفة نزل دكتور فوجي ومستر أوكوما إلى جانب النهر ، فألفيا منزل أوكوما قد جرفه التيار .

لما كان عدد كبير من الناس قد شعر بالمرض فجأة بعد نحو شهر من إلقاء القنبلة الذرية أخذت تنتشر شائعة كريهة وصلت فى آخر الأمر إلى الدار التى تقيم فيها السيدة نكامورا مريضة صلعاء الرأس ، وهى أن القنبلة الذرية تركت فى هيروشيما نوعاً من السم تنبعث منه ذرات مميتة لمدى سبع سنوات ، ولا يمكن أحداً أن يذهب إلى تلك المدينة طول الوقت ، وقد تضايقت السيدة نكامورا لهذا النبأ بنوع خاص ؛ فهى تذكر أنها فى ساعة الحيرة التى استولت عليها فى صباح الانفجار أغرقت وسيلتها الوحيدة للعيش ، وهى آلة الحياكة من صنع سانكوكو فى حوض الماء الصغير المصنوع من الأسمنت أمام ما بقى من دارها . والآن لا يستطيع أحد أن يذهب ليحاول إخراجها . وكانت السيدة نكامورا وأقاربها إلى تلك اللحظة مستسلمين ، ومقتنعين بما يسوغ إلقاء القنبلة الذرية ، من الوجهة الأخلاقية . ولكن هذه الشائعة أذكت فيهم فجأة من الكراهية والبغضاء نحو أمريكا ، أكثر مما شعروا به فى أثناء الحرب .

وكان علماء الطبيعة من اليابانيين (وهم على علم كثير بتحطيم الذرة ويملك أحدهم سيكلوترون) قلقين من الإشعاع الباقى فى هيروشيما . وفى أواسط أغسطس بعد بضعة أيام من إذاعة الرئيس ترومان لنوع القنبلة التى ألقيت ، دخل هؤلاء العلماء إلى المدينة للبحث . وكان أول ما عملوه أن أرادوا تحديد مركز القنبلة ، بأن أخذوا يلاحظون جوانب عمد التليفون حول قلب المدينة التى تأثرت بالحريق ، وقرروا أن المركز هو البوابة الكبرى لمعبد جوكوكو ، وهى تلاصق ساحة الاستعراض لمعسكر شوجوكو للجيش المحلى . ومن هنالك أخذوا يبحثون شمالا وجنوباً بوساطة إلكتروسكوبات لورتسن الحساسة جدا لأشعة بيتا وأشعة جاما ، ودلت هذه الآلات على أن أشد النشاط الاشعاعى ، على مقربة من أبراج البوابة ، هو ٤,٢ مرة لمتوسط «الخارج»

الطبيعى للموجات الزائدة فى القصر لأرض تلك المساحة . ولاحظ العلماء أن ضوء القنبلة قد صبغ الأسمنت المسلح بلون أحمر فاتح ، وأنه أطار شظايا من سطح الجرانيت ، وأنه أثر كما يؤثر الحريق فى بعض أنواع أخرى من مواد البناء . ولذلك تركت القنبلة فى بعض الأماكن آثاراً للظلال التى ارتمى عليها ضوءها . فوجد الخبراء مثلا ظلا ثابتاً على سقف بناء الغرفة التجارية (٢٢٠ ياردة من المركز المحدد) للبرج المكعب . وهنالك ظلال عدة على مركز المراقبة فوق بنك الرهن (٢٠٥٠ ياردة) وهنالك ظل آخر فى برج بناء محطة توليد الكهرباء بشوجوكو (٨٠٠ ياردة) وظل آخر لطلمبة الغاز (٢٦٣٠ ياردة) وظلال كثيرة على القبور من الجرانيت فى معبد جوكوكو (٣٨٥٠ ياردة) وبقياس مثلث هذه الظلال وظلال أخرى مع الأشياء التى كونتها ، استطاع العلماء أن يحددوا المركز الصحيح للقنبلة ، وهو مكان على بعد مائة وخمسين ياردة إلى الجنوب من الأبراج ، وعلى بعد ياردات قليلة إلى الجنوب الشرقى من كومة الخرائب التى كانت من قبل مستشفى شيما (وقد وجدت ظلال صور بشرية ، فنشأ عن ذلك قصص من نسيج الخيال وفيها تفصيلات دقيقة . فمن هذه القصص أن أحد النقاشين كان فوق سلم فثبتت له صورة كأنها مدموغة على المدخل الحجرى لبناء مصرف كان يعمل فيه فى اللحظة التى وضع فيها فرشاه فى إناء الطلاء . ومنها أن رجلا وعربته كانا فوق الجسر المقارب لمتحف العلوم والصناعة وهو يكاد يكون فى مركز الانفجار ، قد ثبت له ظل يدل دلالة واضحة على أنه كان شارعاً فى ضرب جواده بالسوط .) وفى أوائل سبتمبر أجرى العلماء مقاييس جديدة مبتدئين إلى الشرق والغرب من المركز الصحيح ، فوجدوا أن أقوى إشعاع بلغ ٣,٩ مرة « الخارج » الطبيعى وإذ الاشعاع الذى يبلغ على الأقل ١٠٠٠ مرة « للخارج » الطبيعى هو الذى يؤثر تأثيراً سيئاً فى الجسم البشرى ، فقد أعلن العلماء أن الأهالى يستطيعون دخول هيروشيما دون أن يتعرضوا لأى خطر .

وبمجرد أن بلغ هذا النبأ اليقين المنزل الذى كانت تختبئ فيه السيدة نكاسورا — أو على الأقل بعد وقت قصير من ابتداء نمو شعرها من جديد — خفت بغضاء الأسرة بأكملها لأمريكا . وأرسلت السيدة نكاسورا زوج أختها للبحث عن آلة الحياكة ، وكانت لا تزال مغمورة فى ماء الحوض . وعندما

جاء بها إلى المنزل تألمت ألماً شديداً إذ ألفتها قد علاها الصدأ من كل جانب ولم تعد تصلح لشئ .

فى نهاية الأسبوع الأول من سبتمبر كان الأب كلاينسورج راقداً فى دار الرهبان المبتدئين وقد ارتفعت حرارته حتى بلغت ١٠٢,٢ بميزان فهرنهيت . وبما أن حالته كانت تزداد سوءاً على ما يظهر فقد قرر زملاؤه أن يبعثوا به إلى المستشفى الدولى الكاثوليكى فى طوكيو . ورافقه الأب شيزلك ومدير الدار إلى كوبى ، ثم رافقــه أب يسوعى من تلك المدينة إلى أن قطع سائر الطريق ، وكان يحمل رسالة من طبيب بمدينة كوبى إلى الأم الرئيسة للمستشفى الدولى ، وفيها : « فكروا مرتين قبل أن تنقلوا إلى هذا الرجل شيئاً من الدماء ؛ لأنه ليس من المحقق إذا وخز مرضى القنبلة الذرية بابر ألا تنزف دماؤهم . »

عندما وصل الأب كلاينسورج إلى المستشفى كان ممتقع اللون وضعيفاً جدا ، وكان يشكو أن القنبلة قد أضرت بهضمه وجعلته يشعر بآلام جسدية . وكان عدد الكرات البيضاء فى دمه ثلاثة آلاف (وفى العادة يكون خمسة آلاف إلى سبعة) . وكانت تبدو عليه أعراض فقر الدم الشديد وحرارته ١٠٤ فهرنهيت وقد رآه طبيب لا يعرف كثيراً عن هذه الظواهر الغريبة — فان الأب كلاينسورج كان من القلائل من مرضى القنبلة الذرية الذين وصلوا إلى طوكيو — وكان الطبيب أمام المريض مشجعاً جداً إذ قال : « ستخرج من هنا بعد أسبوعين . » ولكن عندما خرج الطبيب إلى الممشى قال للأم الرئيسة : « إنه سيموت ؛ فان جميع هؤلاء الذين أصيبوا بمرض القنبلة يموتون — وسترين . فانهم يظلون بضعة أسابيع أحياء ثم يموتون . » ووصف للأب كلاينسورج غذاء مقوياً ، فكانوا كل ثلاث ساعات يلزمونه بتناول بعض البيض أو خلاصة اللحم البقرى ، وأن يتناول من السكر قدر ما يستطيع . وأعطوه فيتامينات وحبوباً حديدية وشيئاً من الزرنيخ (فى محلول فولا) لعلاج فقر الدم . ولقد كذبت تكهنات الطبيب فى الناحيتين ، فلا هو مات ولا هو خرج بعد أسبوعين . ومع أن الرسالة التى جاءت من طبيب مدينة كوبى حرمته أن يمد بالدم وهو خير علاج لحالته ، فان الحمى والمتاعب الهضمية زالت بسرعة مناسبة . ولقد ارتفع عدد الكرات البيضاء بعض الشئ ، ولكن فى أوائل أكتوبر نزل عددها إلى

٣٦٠٠ وبعد عشرة أيام ارتفع أكثر من الحالة الاعتيادية إلى ٨٨٠٠ ثم انتهى بها الأمر إلى أن بقيت ٥٨٠٠ وكانت خدوشه الغريبة مما أثار عجب كل إنسان ، فهى تلتئم بضعة أيام ، حتى إذا أخذ يتحرك ويمشى قليلا عادت فانفتحت وعندما أخذ يشعر بتحسن صحته بدأ يستمتع بمركزه . فهو فى هيروشيما كان واحداً من آلاف من المرضى ، وهو فى طوكيو قد صار أعجوبة ؛ فكان الأطباء الشبان فى الجيش الأمريكى يأتون بالعشرات ليفحصوه ، ويأتى الخبراء من اليابانيين ليسألوه ، وجاء مندوب جريدة ليأخذ منه حديثاً ، وجاء مرة طبيبه الحائر وهز رأسه وقال : « إن حالات مرضى القنبلة الذرية لحالات محيرة . »

كانت السيدة نكامورا راقدة داخل البيت مع مييكو ، فكلاهما ظل مريضاً . ومع أن السيدة نكامورا شعرت شعوراً غامضاً بأن مرضهما ناشئ عن القنبلة ، فانها كانت لا تستطيع من الفقر أن تزور الطبيب ؛ ولذلك لم تعرف تماماً ماذا حل بها . ومن غير أى نوع من العلاج بل بمجرد الراحة أخذا مع الأيام يتحسنان ، وقد سقط بعض شعر مييكو وكان فى ذراعها حرق صغير ظل أشهراً دون أن يلتئم . أما الغلام توشيو وأخته الكبرى ييكو فقد كانا فى صحة جيدة مع أنهما فقدا بعض شعرهما ، وكانا أحياناً يشعران بصداع شديد . وكان توشيو لا يزال يحلم أحلاماً مزعجة تدور دائما حول الميكانيكى البالغ من العمر تسع عشرة سنة هيديو أوساكى بطله الذى قتلته القنبلة .

ظل مستر تانيموتو راقداً بالحمى التى بلغ ارتفاعها ١٠٤ درجة فهرنهايت وكان قلقاً بسبب صلوات الجنازة التى كان عليه أن يقيمها للموتى من أبناء كنيسته . وكان يظن أن ما به هو التعب الشديد من العمل المرهق الذى قام به منذ ضربت المدينة . ولكن بعد أن ظلت الحمى ملازمة له بضعة أيام أرسل يطلب الطبيب . وكان الطبيب مثقلا بالعمل ، فلم يكن يستطيع أن يزور أوشيدا ، ولكنه أرسل ممرضة عرفت أعراض المرض ووصفته بمرض إشعاع متوسط فى شدته . وكانت تأتى إليه من وقت لآخر لتحقنه بحقن من فيتامين ب . وزار مستر تانيموتو كاهن بوذى كان يعرفه ، واقترح أن يعالج بعشب الموكسا

لعله يفيده ، ووصف الكاهن للقس كيف يستعمل هذا العلاج الياباني القديم ، وهو أن يوقد حزمة من عشب الموكسا المقوى بعد أن توضع فوق نبض الساعد . ووجد مستر تانيموتو أن كل مرة يجرى فيها علاج الموكسا كانت الحمى تهبط مؤقتاً درجة واحدة . وكانت الممرضة قد أنبأته بأن يأكل أكثر ما يستطيع ، فكانت حماته تأتيه كل بضعة أيام بخضراوات وأسماك من تسوزو حيث تقيم وهى تبعد عشرين ميلا ، وظل ملازماً الفراش شهراً ، ثم قطع عشر ساعات بالقطار ليقيم فى منزل أبيه بشكوكو ، وهنالك استراح شهراً آخر .

رأى الدكتور سازاكى وزملاؤه بمستشفى الصليب الأحمر هذا المرض الذى لم يعرف من قبل يبدو أمامهم ، وأخيراً استنبطوا نظرية عن طبيعته ، وقرروا أن له أدواراً ثلاثة : الدور الأول انتهى قبل أن يعرف الأطباء أن أمامهم مرضاً جديداً ، وهو نتيجة مباشرة لتأثير إصابة الجسم فى لحظة إلقاء القنبلة بذرات النيترون وأجزاء من أشعة بيتا وأشعة جاما . فالناس الذين لم يصابوا فى الظاهر باصابات ولكنهم ماتوا موتاً غريباً فى الساعات أو الأيام القلائل الأولى ، كانوا ضحية هذا الدور الأول ، وقتل به تسعة وخمسون فى المائة من الأهالى ممن كانوا على بعد نصف ميل من المركز ، وبضعة آلاف من الذين كانوا أبعد من ذلك . وتحقق لدى الأطباء استنتاجاً أن أكثر الموتى مع إصابتهم بحروق وبتأثير الضغط قد تشربوا من الاشعاع ما قتلهم ، فهذه الأشعة دمرت خلايا الجسم ، وسببت انحطاطاً فى نواة الخلايا وحطمت حوائطها . وكثير ممن لم يموتوا فى الحال أصابهم الغثيان والصداع والاسهال والارهاق والحمى التى استمرت عدة أيام . ولم يتحقق الأطباء من هذه الأعراض أهى نتيجة الإشعاع أو الصدمة العصبية .

أما الدور الثانى فانه جاء بعد عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً من انفجار القنبلة . وظاهرته الأساسية سقوط الشعر ثم إسهال وحمى قد ترتفع إلى ١٠٦ درجه فهرنهايت ، وظهرت بعد خمسة وعشرين إلى ثلاثين يوماً من الانفجار اضطرابات فى الدم : فقد دميت اللثة ، ونقصت الكرات البيضاء نقصاً كبيراً ، وظهرت بقع على الجلد وفى الأعضاء المخاطية . وكان نقص عدد الكرات البيضاء فى الدم مما يضعف مقاومة المريض للعدوى ، ولذلك

كانت الجراح التى شارفت الشفاء لا تلتئم ، وأصيب كثير من المرضى بأمراض فى الحنجرة والفم ، وكانت الظاهرتان الهامتان اللتان يبنى عليهما الأطباء تقديرهم هما الحمى ونقص عدد الكرات البيضاء .

وإذا ظلت الحمى مستمرة ومرتفعة كانت فرصة المريض فى الحياة ضعيفة ، وكان عدد الكرات البيضاء ينقص دائماً إلى أقل من أربعة آلاف ، فاذا نزل عددها عن الألف كان الأمل فى حياة المريض ضعيفاً . وفى آخر الدور الثانى إذا بقى المريض حياً فانه يصاب أيضاً بفقر الدم أو نقص الكرات الحمراء فى الدم .

ثم يأتى الدور الثالث حينما يحاول جسم المريض أن يستعيض عما سببه له المرض . فمثلا لا يعود عدد الكرات البيضاء إلى طبيعته وحسب بل يزيد كثيراً على المستوى العادى . وفى هذا الدور يموت المرضى بسبب مضاعفات كاصابات فى منحنى الصدر . وكانت أكثر الحروق تلتئم بطبقات سميكة من أنسجة حمراء مطاطة تعرف باسم أورام كلويد . وكانت مدة المرض تختلف باختلاف قوة احتمال المريض ومقدار الإشعاع الذى وصل إليه ، فكان بعض الضحايا يشفى فى أسبوع وظل بعضهم الآخر يلازمهم المرض أشهرا .

لما أخذت هذه الأعراض تبدو تبين أن الكثير منها يشابه تأثيرات الاكثار من التعرض لأشعة إكس ، وبنى الأطباء طرق علاجهم على هذه المشابهة فكانوا يعطون المرضى خلاصة الكبد وحقن الدم وفيتامينات وبخاصة فيتامين ب . وكانت قلة الأدوية والأدوات مما يصعب مهمتهم . وقد وجد أطباء الحلفاء الذين جاءوا بعد استسلام اليابان أن البلازما والبنسلين كانا نافعين جدا . ولما كانت الاضطرابات المرضية فى دورة المرض الطويلة هى العامل الأساسى فيه فقد بدا لبعض الأطباء اليابانيين رأى عن موضع هذا المرض الذى تظهر أعراضه متأخرة ، وهو أنه ربما كانت أشعة جاما فى اختراقها الجسم أثناء الانفجار قد أحدثت النشاط الإشعاعى فى الفوسفور الذى فى عظام الضحايا ، وأنه فى الوقت نفسه انبعثت منهم أجزاء من أشعة بيتا ، وهذه الأشعة لا تستطيع اختراق اللحم إلا إلى حد بسيط ، ولكنها دخلت إلى نخاع العظام حيث يصنع الدم وقضت عليه شيئاً فشيئاً . ومهما يكن مصدر هذا المرض فانه كان ذا صفات محيرة ؛ إذ لم تظهر الأعراض الأساسية على جميع المرضى . فالذين أصيبوا

بحروق من الانفجار كانت لديهم مناعة إلى حد كبير من مرض الإشعاع، وأولئك الذين التزموا الهدوء لمدة أيام أو حتى ساعات بعد الانفجار، كانوا أقل تعرضاً لهذا المرض من أولئك الذين كانوا نشيطين. ثم إن الشعر الأبيض كان قلما يسقط، وكأن الطبيعة أرادت حماية الانسان من اختراعاته لذلك نرى أن وسائل الانتاج تأثرت لوقت ما، فصار الرجال عقما والنساء يصيبهم الاجهاض وانقطع الحيض.

مكث دكتور فوجي عشرة أيام بعد الفيضان فى دار فلاح على الجبل فوق نهر أوتا، ثم سمع بخلو عيادة خاصة فى كايتايشى وهى ضاحية إلى الشرق من هيروشيما، فاشتراها فى الحال وانتقل إليها، وعلق لافتة مكتوبة بالانجليزية تحية للمنتصرين:

م. فوجي
دكتور فى الطب
للامراض الباطنية والتناسلية

وكانت جراحه قد التأمت، وأخذ العمل يكثر لديه. وكان يلذ له فى المساء أن يزوره أعضاء من القوات المحتلة، فيغدق عليهم الويسكى ويتمرن معهم على اللغة الانجليزية.

أعطى الدكتور سازاكى للآنسة سازاكى البروكايين مخدراً محليا، ثم فتح ثغرة فى رجلها فى يوم ٢٣ أكتوبر ليخرج الصديد الذى كان لا يزال موجوداً بعد أحد عشر أسبوعاً من الإصابة، وقد أخذ يتكون من الصديد فى الأيام التالية قدر كبير، حتى اضطره ذلك إلى تنظيف الثغرة صباح مساء. وفى الأسبوع التالى شكت من ألم شديد، ففتح ثغرة أخرى ثم فتح ثغرة ثالثة فى ٩ نوفمبر ثم وسعها فى اليوم السادس والعشرين من نوفمبر. وكانت الآنسة

سازاكى قد أخذت نفسيتها تضعف ويزداد جسمها ضعفا . ، وفى ذات يوم جاء الشاب الذى أعارها ترجمة قصص موباسان فى هاتسو كايشى لزيارتها ، وأنبأها بأنه ذاهب إلى كيوشو ،على أنه يود أن يراها عند عودته مرة ثانية ، ولكنها لم تهتم بذلك . وقد تورمت رجلها وازداد ألمها حتى لم يستطع الطبيب أن يقوم بأية محاولة لجبر الكسور ، وبالرغم من أن التصوير بأشعة إكس الذى أخذ فى نوفمبر أظهر أن العظام تلتئم ، فانها كانت ترى وهى تحت الغطاء أن رجلها اليسرى صارت أقصر من رجلها اليمنى بثلاث بوصات ، وأنها مثنية إلى الداخل . وفكرت كثيراً فى الرجل الذى كانت مخطوبة له ، وقد أنبأها أحد الأصدقاء أنه عاد من عمله فيما وراء البحار ، فكانت تسائل : ماذا سمع عن إصاباتها حتى أنه ظل بعيداً عنها !

.

أخرج الأب كلاينسورج من مستشفى طوكيو فى ١٩ ديسمبر ، وركب القطار عائداً إلى مقره . وفى الطريق بعد يومين عند يوكوجادوا وهى المحطة التى قبل هيروشيما ، ركب دكتور فوجيى القطار معه ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى اجتمع فيها الرجلان بعد انفجار القنبلة ، فجلسا معاً . وقال الدكتور فوجيى إنه ذاهب للاجتماع السنوى لأسرته وهو يوم ذكرى وفاة والده . وعندما بدآ يتكلمان عما حدث لهما كان حديث الطبيب مسلياً جدا ؛ إذ أخذ يصف المنازل التى كان يسكنها كيف كانت تتساقط فى الأنهار . ثم سأل الأب كلاينسورج عن صحته فأخبره الأب اليسوعى بأنه كان فى المستشفى وقال : « نصح لى الأطباء بأن أكون حذراً ، وأمرونى بأن ألجأ إلى النوم ساعتين بعد ظهر كل يوم . »

فقال دكتور فوجيى : « من الصعب فى هذه الأيام أن يكون الانسان حذراً فى هيروشيما ، فكل واحد فيها شديد الاقبال على العمل . »

أخذت إدارة بلدية جديدة تحت إشراف الحكومة العسكرية المتحالفة تعمل أخيراً فى دار البلدية ، وأخذ الأهالى الذين شفوا من درجات مختلفة من مرض الإشعاع يعودون بالألاف ، وبلغ عدد الأهالى فى أول نوفمبر ١٧٣ ألفاً أى أكثر من ثلث ما بلغه عددهم فى أثناء الحرب ، واحتشد أكثرهم فى أطراف

المدينة . وشرعت الحكومة تقوم بضروب من المشروعات لكى تحملهم على العمل فى إعادة بناء المدينة ، فأجرت رجالا لتنظيف الشوارع وآخرين ليجمعوا قطع الحديد المتناثرة وينظموها فى أكوام كالجبال أمام دار البلدية . وأخذ بعض العائدين من سكان المدينة يبنون دورهم وأكواخهم ويزرعون مربعات صغيرة بقمح الشتاء إلى جانبها . على أن إدارة المدينة رخصت وبنت أربعمائة «معسكر» كل واحد لسكنى أسرة واحدة . وأعيد إصلاح المنافع العامة ، فعادت الأضواء الكهربائية تسطع مرة ثانية ، وأخذت عربات الترام تسير ، وأصلح رجال أعمال المياه سبعين ألف صنبور ، وألف مؤتمر لتنظيم المدينة له مستشار شاب متحمس من ضباط الحكومة العسكرية وهو اللفتنانت جون مونتجومرى من كلامايسو . وأخذ هذا المؤتمر يدرس على أى نوع من المدن يجب أن تكون — هيروشيما الجديدة ؛ فقد ازدهرت المدينة المخربة — وكانت هدفاً بارزاً — بسبب أنها كانت من أهم مراكز القيادة العسكرية والمواصلات فى اليابان . وكان من المنتظر أن تصير عاصمة الإمبراطورية لو تم غزو الجزر اليابانية واحتلت طوكيو . والآن لن تكون هنالك مراكز حربية ضخمة تساعد على إحياء المدينة . فكان مؤتمر التنظيم فى حيرة بشأن الأهمية التى تكون لهيروشيما . ولذلك التجأ إلى مشروعات ثقافية غامضة بعض الشئ وإصلاحات فى الطرق ، فرسم خرائط بها شوارع كبيرة يبلغ عرض الواحد منها مائة ياردة . وفكر جديا فى الاحتفاظ بمتحف العلوم والصناعة الذى أصابه شئ من التخريب كما هو ، تذكاراً للكارثة ، على أن يسمى معهد الصداقة الدولية . وجمع الاخصائيون ما قدروا عليه من أرقام عن تأثير القنبلة ، فقالوا إن ٧٨,١٥٠ شخص قتلوا ، و ١٣,٩٨٣ شخص نقدوا ، و ٣٧,٤٢٥ شخص أصيبوا . ولم يزعم أحد من رجال الحكومة فى المدينة أن هذه الأرقام صحيحة ، مع أن الأمريكيين عدوها رسمية . و بمرور الشهور أخرجت مئات ومئات من الجثث من بين الأنقاض . ولما كان عدد الآنية المليئة برماد الموتى الذين لم يطلبهم أهلوهم بمعبد ثاموجى بجهة كوى ارتفع إلى الآلاف ، فقد بدأ الاحصائيون يقولون إن مائة ألف على الأقل ماتوا بسبب القنبلة . وإذ كان عدد كبير من الناس يعزى موتهم لمجموعة أسباب ، فقد كان من المستحيل أن يعرف تماماً كم من قتلوا بكل واحد من هذه الأسباب . ولكن رجال الاحصاء يقدرون أن خمسة وعشرين فى المائة ماتوا

بسبب حروق مباشرة من القنبلة ، وأن خمسين فى المائة من إصابات أخرى ، وأن عشرين فى المائة نتيجة لتأثير الإشعاع . على أن تقدير رجال الاحصاء فيما أصاب الأموال قد يمكن الاعتماد عليه ؛ فقد دمر اثنان وستون ألف بناء من تسعين ألفاً ، وأصيب ستة آلاف بضرر لا يمكن إصلاحه ، وفى قلب المدينة لم يبق غير خمسة أبنية حديثة يمكن استعمالها ثانية بغير إجراء إصلاحات كبيرة . ولم تكن قلة هذا العدد ناشئة عن عدم متانة الأبنية اليابانية ؛ فالواقع أنه منذ حدوث الزلزال الكبير فى سنة ١٩٢٣ قضت نظم البناء اليابانية أن يكون سقف كل بناء كبير بحيث يتحمل ثقلا قدره على الأقل سبعون رطلا فى كل قدم مربع ، على حين لا تقضى النظم الأمريكية بأكثر من أربعين رطلا للقدم المربع .

ولقد جاء جيش من العلماء إلى المدينة ، وأخذ بعضهم يقيس القوة التى أدت إلى نقل الشواهد الرخامية من مكانها فى المقابر ، وإلى قلب اثنين وعشرين من سبعة وأربعين عربة من عربات السكك الحديدية فى مخازن هذه السكك بمحطة هيروشيما ، وإلى رفع طريق من الأسمنت وتحريكه على أحد الجسور ، وإلى حدوث أشياء أخرى تسترعى النظر من أعمال القوة . واستنتجوا أن الضغط الذى سببه الانفجار اختلف بين ٥,٣ إلى ٨ أطنان للياردة المربعة . ووجد آخرون أن الميكا التى لا تذوب إلا على درجة حرارة ٩٠٠ سنتيجراد قد ذابت على حجارة قبور من الجرانيت واقعة على ثلاثمائة وثمانين ياردة من المركز ، ووجدوا عمد التليفون ، وهى من أشجار البلوط اليابانى وهى تحترق على حرارة ٢٤٠ سنتيجراد ، قد احترقت على بعد أربعة آلاف وأربعمائة ياردة من المركز ، وأن سطح القوالب من الآجر الرمادى وهى المستعملة فى هيروشيما والتى لا تذوب إلا على درجة ١٣٠٠ سنتيجراد قد ذابت على بعد ستمائة ياردة . وبعد أن فحصوا بعض الرماد ذى الدلالة وبعض بقايا ما ذاب ، استنتجوا أن حرارة القنبلة على الأرض فى المركز بلغت ٦٠٠٠ سنتيجراد . ووصل العلماء إلى معلومات أكبر شأنا عن طبيعة القنبلة من مقاييس أخرى للاشعاع كان مما شملته قشر قطع من المواد من أغطية السطوح ، وأنابيب المجارى فى أماكن بعيدة ، مثل ضاحية تكاسو ، وهى على ثلاثة آلاف وثلاثمائة ياردة من المركز . وكان مركز رياسة الجنرال ماك آرثر يمنع أى ذكر للقنبلة فى المطبوعات العلمية اليابانية ،

ولكن ثمار تقديرات العلماء ما لبثت أن صارت معلومات عامة لدى اليابانيين من علماء الطبيعة والأطباء والكيميائيين والصحفيين والأساتذة ، ولا ريب فى أنه عرفها أولئك السياسيون والعسكريون الذين كانوا لا يزالون مطلقى السراح . وقبل أن يعرف الجمهور الأمريكى بزمن طويل ، كان السواد الأعظم من رجال العلم ، وكثيرون من غير العلماء يعرفون — من التقديرات التى قام بها علماء الطبيعة الباحثون فى الذرة من اليابانيين — أن قنبلة من اليورانيوم انفجرت فى هيروشيما ، وأن قنبلة أقوى منها من البلوتنيوم انفجرت فى نجازاكى ، وعرفوا أيضاً أنه يمكن نظريا صنع قنبلة تزيد قوتها على ذلك عشر مرات ، أو عشرين مرة . وزعم العلماء اليابانيون أنهم عرفوا الارتفاع الصحيح الذى انفجرت فيه قنبلة هيروشيما ، والثقل التقريبى لما استعمل من يورانيوم . وقدروا أنه حتى مع قنبلة بدائية كالقنبلة التى استعملت فى هيروشيما ، يجب أن يكون هنالك مخبأ من الأسمنت المسلح يبلغ سمكه خمسين بوصة ، كى يكون الانسان بمأمن من مرض الإشعاع . وعرف هؤلاء العلماء هذه التفصيلات وغيرها ، مما ظل خاضعاً للكتمان فى الولايات المتحدة ، وقد نشروها وصوروها وضمنوها كتباً صغيرة . وعلم الأمريكيون بهذه الكتب ، ولكن تعقبها ومنعها من أن تقع فى أيدى غير صالحة ، يضطر قوات الاحتلال إلى أن تنشئ نظاماً بوليسيا كبيراً فى اليابان لهذا الغرض وحده . وكان العلماء اليابانيون يتندرون على العموم بالمجهودات التى يبذلها المنتصرون لكتمان أنباء التحطيم الذرى .

فى أواخر فبراير سنة ١٩٤٦ وفد على الأب كلاينسورج أحد أصدقاء الآنسة سازاكى وسأله أن يزورها فى المستشفى ، وكانت تزداد انقباضاً ويأساً ، إذ أن ليس للحياة لديها قيمة وذهب الأب كلاينسورج لرؤيتها عدة مرات . وفى أول زيارة لها جعل الحديث يدور حول مسائل عامة رسمية ، وإن كان مشوبا بالعطف ، ولم يرد أن يذكر الدين . وفى المرة الثانية كانت الآنسة سازاكى بادئة فى الحديث عن هذا الموضوع ، وكان من البين أنها قد تحدثت من قبل إلى بعض الكاثوليك ، وقد سألته فى صراحة : « إذا كان إلهك رءوفاً وشفيعاً فكيف يدع الناس يتألمون هكذا ؟ » وأبدت اشارة تشمل رجلها المتضررة والمرضى الآخرين ومدينة هيروشيما بأكملها .

فقال الأب كلايسورج : « يا بنيتى ! إن الانسان ليس الآن فى الحالة التى أراد الرب أن يكون عليها ؛ فهو قد أبعد من رحمة الله بسبب الخطيئة » ، وأخذ يبدى أسباباً وتأويلات لجميع الأمور .

علمت السيدة نكامورا أن نجاراً فى كابى يبنى أكواخاً من الخشب فى هيروشيما ويؤجرها بسعر قدره خمسون ين فى الشهر ، وهذا يعادل ٣,٣٣ دولار بالسعر المحدد للعملة وكانت قد فقدت وثائق أسهمها وغيرها مما ادخرته أثناء الحرب ، ولكنها لحسن الحظ كانت قد قيدت أرقامها فى قائمة قبل القنبلة ببضعة أيام ، ونقلت هذه القائمة إلى كابى . فلما نما شعرها واستطاعت أن تظهر ذهبت إلى مصرفها فى هيروشيما ، فأنبأها أحد موظفيه بعد أن راجع الأرقام على سجلات البنك أن المصرف على استعداد لرد أموالها . وبمجرد أن استردت هذه الأموال استأجرت كوخاً من أكواخ النجار وكان فى نوبورى تشو على مقربة من مكان بيتها السابق . ومع أنه كان مظلماً من الداخل وأرضه من التراب فهو على أية حال دار فى هيروشيما تغنيها عن إحسان أخت زوجها . وفى أثناء الربيع أزالت بعض الحطام المجاورة وزرعت حديقة خضراوات . وكانت تطهى طعامها وتأكل فى آنية وأطباق أخرجتها من الأنقاض . وأرسلت طفلتها ميبكو إلى مدرسة الأطفال التى أعاد اليسوعيون فتحها ، وكان الطفلان الكبيران يذهبان إلى مدرسة نوبورى تشو الابتدائية . وكانت هذه المدرسة لا تجد بناء ، فأخذت تلقى الدروس فى الهواء الطلق . وكان الابن توشيو يريد أن يدرس ليكون ميكانيكياً مثل بطله هيديو أوساكى . وقد ارتفعت الأسعار ، فلم يأت منتصف الصيف حتى كانت السيدة نكامورا قد أتت على ما ادخرته ، فباعت بعض ملابسها لتدبير الطعام ، وكانت لديها فى وقت ما عدة ثياب ثمينة من نوع الكيمونو ، ولكن أحدها سرق فى أثناء الحرب ، وأعطت ثوبا أختاً لها فقدت ملابسها فى ضرب مدينة توكوياما ، وفقدت اثنين عند إلقاء القنبلة فى هيروشيما ، والآن باعت آخر ثوب بقى لها فلم يأتها من هذا البيع غير مائة ين لم تستمر طويلا . وفى يونيه ذهبت إلى الأب كلاينسورج تسأله أن ينصح لها كيف تدبر أمورها ، وفى أوائل أغسطس كانت لا تزال تفكر فى الطريقتين اللتين أشار بهما : أن تعمل خادماً لدى بعض قوات الحلفاء المحتلة ، أو تقترض

من أقاربها نحو خمسمائة ين ، أو ما يزيد على ثلاثين دولارا بقليل ، وهو مبلغ يكفى لاصلاح آلة الحياكة التى علاها الصدأ واستئناف عملها فى الحياكة .

عندما عاد مستر تانيموتو من شكوكو نصب خيمة كان يمتلكها على سقف البيت الذى به إصابات سيئة والذى استأجره فى أوشيدا ، وكان السقف لا يزال مثقوباً ، ولكنه كان يقيم صلواته فى الحجرة الكبيرة المتأثرة بالرطوبة . وأخذ يفكر فى جمع تبرعات لاعادة بناء كنيسته فى المدينة ، وارتبط بأواصر الصداقة مع الأب كلاينسورج ، وصار يختلف إلى اليسوعيين ، وكان يحسدهم على ثراء كنيستهم وكأنهم قادرون على أن يفعلوا كل ما يريدونه ، أما هو فلم يكن يملك إلا نشاطه ولم يعد هذا النشاط مثل ما كان عليه .

وكانت جمعية اليسوعيين هى أول هيئة بدأت تبنى داراً ثابتة بعض الشئ فى خرائب هيروشيما . وقد بدءوا فى ذلك حين كان الأب كلاينسورج فى المستشفى ، و بمجرد أن عاد سكن فى هذه الدار . واتفق هو وقس آخر — الأب لادرمان الذى انضم إلى البعثة — على أن يشتريا ثلاثة من تلك المعسكرات المرسومة التى كانت المدينة تبيعها ، وثمن الواحد منها سبعة آلاف ين وضما اثنين منهما بعضهما إلى بعض وأنشآ منهما كنيسة صغيرة جميلة ، وكانا يأكلان فى الثالثة . وحينما توافرت مواد البناء كلف اليسوعيون مقاولا بأن يبنى داراً للبعثة من ثلاث طبقات تكون مماثلة تماماً للدار التى دمرتها الغارة ، وأخذ النجارون يشتغلون فى أرض البناء قاطعين الأخشاب وناشرين الحواجز ومشكلين الجوانب وصانعين العشرات من الروابط الخشبية ، وقد فتحوا لها ثغرات فى الخشب حتى صارت أجزاء الدار جميعاً كومة نظيفة ، ثم أقاموا البناء كله فى ثلاثة أيام كما تقام لعبة الأطفال المعروفة باللغز الشرقى دون أن تكون هنالك أية مسامير . وكان الأب كلاينسورج يجد من الصعب أن يكون محتاطاً وأن ينام بالنهار ، كما نصحه دكتور فوجى ، وكان يخرج كل يوم سيراً على الأقدام لزيارة الكاثوليك من اليابانيين وزيارة الذين يأمل فى إقناعهم بالعقيدة الكاثوليكية . و بمرور الشهور أخذ يشعر بتزايد التعب . وفى يونية قرأ مقالا فى جريدة شوجوكو التى تصدر فى هيروشيما تحذر الأحياء من العمل المرهق — ولكن ماذا يعمل ! ولم يقبل شهر يولية حتى كان التعب قد نال منه .

وفى أوائل أغسطس فى نحو ذكرى إلقاء القنبلة عاد إلى المستشفى الكاثوليكى الدولى فى طوكيو ليرتاح شهراً .

قد تكون إجابات الأب كلاينسورج على أسئلة الآنسة سازاكى عن الحياة حقائق نهائية ومطلقة وقد لا تكون ، ولكن يظهر أنها استمدت من هذه الإجابات قوة جسمية جديدة . ولاحظ دكتور سازاكى هذا الأمر فهنأ الأب كلاينسورج ، ولم يأت يوم ١٥ أبريل حتى كانت حرارتها طبيعية ، وعدد الكرات البيضاء طبيعيا ، وأخذ الصديد يقل فى الجرح . وفى يوم ٢٠ من ذلك الشهر لم يكد يبقى منه شئ . ولأول مرة سارت فى الماشى متكئة على عكازين ، وابتدأ الجرح يلتئم بعد خمسة أيام . وفى آخر يوم من ذلك الشهر برحت المستشفى .

وفى أوائل الصيف استعدت لاعتناق الديانة المسيحية الكاثوليكية ، وكانت فى تلك الفترة يتعاورها الأمل واليأس ، وكانت لحظات اليأس عميقة . فهى تعلم أنها ستظل عاجزة أبداً ، ولم يأت خطيبها قط ، ولم يبق لها ما تعمله إلا القراءة وأن تشرف من دارها بجانب تل كوى على خرائب المدينة التى هلك فيها أبوها وأمها وأخوها . وصارت عصبية ، فاذا حدثت ضجة مفاجئة رفعت يديها فى الحال إلى حلقها . وكانت رجلها لا تزال تؤلمها ، فكانت لا تنفك تدلكها كثيراً وتربت عليها كأنما هى تعزيها .

لم يعد مستشفى الصليب الأحمر إلى حالته العادية قبل مرور ستة أشهر ، ولم يعد الدكتور سازاكى إلى حالته إلا بعد مدة أطول من ذلك . وكان المستشفى يظلع فى سيره على مولِّد كهربائى من سولدات الجيش اليابانى ، وضعه فى الفناء الخلفى ، إلى أن أعيدت محطة توليد القوة الكهربائية بالمدينة . وكانت مناضد العمليات وآلات أشعة إكس وكراسى علاج الأسنان وكل ما هو معقد وضرورى من أدوات ، قد جاءت شيئاً فشيئاً هبة من مدن أخرى . ويعتبر الوجه فى اليابان شيئاً هاما حتى فى المعاهد . ولذلك بدأ مديرو المستشفى حتى قبل العودة إلى مستواه فى أجهزته الطبية الأساسية فأقاموا واجهة جديدة من الآجر الأصفر اللامع ، فصار أجمل بناء فى هورشيما ، إذا رئى من الشارع .

وكان الدكتور سازاكى فى الاشهر الأربعة الأولى ، الجراح الوحيد فى المستشفى فلم يغادره قط. ثم أخذ يعود إلى الاهتمام بحياته الخاصة ، فتزوج فى شهر مارس وعاد إليه بعض ما نقص من وزنه ، ولكن شهيته للطعام ظلت ضعيفة . وكان قبل إلقاء القنبلة يأكل أربع كرات من الأرز فى الأكلة. أما بعد ذلك بسنة فكان لا يستطيع أن يأكل أكثر من كرتين من الأرز . وكان يشعر بالتعب طول الوقت على أنه قال : « ولكننى على يقين بأن السكان جميعاً متعبون . »

بعد سنة من إلقاء القنبلة صارت الآنسة سازاكى من ذوى العاهات ، والسيدة نكامورا معدمة ، والأب كلاينسورج فى المستشفى ، ودكتور سازاكى غير قادر على العمل كما كان يفعل من قبل ، ودكتور فوجيى قد فقد المستشفى ذا الثلاثين حجرة الذى عمل سنين فى إنشائه ، وكنيسة مستر تانيموتو قد تخربت ولم يعد هو إلى ما كان فيه من حيوية . فحياة هؤلاء الستة الذين يعدون من أسعد أهل هيروشيما حظا ، لن تكون كما كانت ، ولم يكونوا فيما مر من محن ولا فى استعمال القنبلة الذرية على رأى واحد . ولكن يظهر أنهم كانوا مشتركين فى شعور واحد ، هو نوع عجيب من روح الجماعة فيه شئ من الزهو يقارب شعور أهل لندن بعد الهجوم الجوى الخاطف عليها ، هو افتخارهم بالطريقة التى واجهوا بها هم وزملاؤهم من الأحياء تلك المحنة الفظيعة .

ولقد كتب مستر تانيموتو قبل ذكرى هذا الحادث بقليل إلى أحد الأمريكيين رسالة فيها عبارات تدل على هذا الشعور : « ياله من منظر كئيب كان فى الليلة الأولى ! لقد نزلت فى نحو منتصف الليل إلى شاطئ النهر ، وكان عدد الراقدين على الأرض كبيراً حتى إنى لم أستطع أن أشق طريقى إلا بأن أطأ بعضهم ، وكنت أكرر « معذرة » وأنا حامل آنية مليئة بالماء ، وأقدم كوباً منه لكل واحد منهم . فكانوا يرفعون أجسامهم فى بطء ويتقبلون الكوب فى انحناء ويشربون فى هدوء ويريقون ماتبقى ويعيدون إلىّ الكوب وهم يعربون قلبيا عن شكرهم . وقد قال أحدهم : « إنى لم أستطع مساعدة أختى التى كانت دفينة تحت أنقاض الدار لأنه كان على أن أساعد أمى التى جرحت جرحاً عميقاً فوق عينها . ولم تلبث الدار أن اشتعلت بها النيران ولم نكد ننجو . أنظر ! لقد فقدت دارى وأسرتى وأصبت أخيراً إصابات شديدة ، ولكنى لاأزال

محتفظاً بعقلى . لكى أهب ما لدى لاتمام الحرب فى سبيل بلادنا » . هكذا كانوا يقولون لى حتى النساء والأطفال كانوا يفعلون مثل هذا . ولما كنت قد تعبت تعباً شديداً فقد ارتميت بينهم على الأرض ، ولكننى لم أستطع النوم مطلقاً . وفى الصباح التالى ألفيت الكثير من الرجال الذين أعطيتهم الماء فى الليلة السابقة قد ماتوا . على أن ما أثار دهشتى الكبيرة أنى لم أسمع أحداً منهم يصرخ فى جزع واضطراب مع أنهم كانوا يتألمون ألماً مبرحاً ، وماتوا ساكتين غير ساخطين . وقد أطبقوا أسنانهم ليتحملوا هذا الألم ، كل هذا من أجل الوطن !

« لقد دفنت القنبلة الدكتور هيرايوا الأستاذ بجامعة هيروشيما للآداب والعلوم وأحد أعضاء كنيستى ، تحت منزله المؤلف من طابقين ومعه ابنه الطالب فى جامعة طوكيو ، وكان الاثنان لا يستطيعان التحرك قيد أنملة إذ كان عليهما ضغط كبير ، ثم شبت النار فى البيت ، فقال الابن : « ليس أمامنا يا أبت إلا أن نوطن أنفسنا على تقديم حياتنا فى سبيل الوطن ، فلنرفع بنزاى (التحية) للامبراطور . » فتبع الأب ابنه : « تينو هايكا ، بنزاى ، بنزاى ، بنزاى ! » ويقول دكتور هيرايوا من العجيب أنى شعرت أخيراً بالهدوء وبالانتعاش وامتلأ قلبى بروح السلام عند ما رددت بنزاى للامبراطور . وحدث بعد ذلك أن استطاع الابن الخروج وظل يحفر حتى أخرج أباه ، وهكذا أنقذا . ويكرر دكتور هيرايوا حين يفكر فى محنة ذلك الزمن : « ما أسعدنا إذ نحن يابانيون ! فتلك أول مرة تنسمت فيها رَوْحاً جميلاً عند ما اعتزمت أن أموت فى سبيل إمبراطورنا . »

« وكانت الآنسة كايوكو نبوتوكى ، وهى طالبة بهيروشيما جازابوين مدرسة البنات العالية و إحدى بنات كنيستى ، تستريح مع صديقاتها إلى جانب السور الثقيل للمعبد البوذى . وعندما ألقيت القنبلة سقط عليهن السور . ولكن لا يستطعن أن يتحركن تحت هذا السور الثقيل ، ثم نفذ الدخان من الشقوق واختنقت أنفاسهن . فأخذت إحدى البنات تغنى كيمى جايو النشيد الوطنى . وشاركها الأخريات فى الغناء ومتن معاً . إلا أن واحدة منهن وجدت ثغرة وحاولت جهدها أن تخرج . ولما حملت إلى مستشفى الصليب الأحمر ذكرت كيف ماتت صديقاتها ، وكيف كن ينشدن معاً النشيد الوطنى . وكانت أعمارهن لا تتجاوز الثالثة عشرة .

« أجل إن أهل هيروشيما ماتوا ميتة الرجال عند ضربها بالقنبلة الذرية وهم يعتقدون أنهم يموتون من أجل الامبراطور . »

وقد ظل عدد كبير يدعو إلى الدهشة من أهل هيروشيما لا يكترثون للناحية الأخلاقية فى استعمال القنبلة . ومن المحتمل أنهم ذعروا من هذه القنبلة حتى أصبحوا لا يريدون مجرد التفكير فى أمرها ، بل لم يهتم إلا القليل منهم بمعرفة شكلها . ويمكن أن تتخذ فكرة السيدة نكامورا عنها — وخوفها منها — مثالا لذلك . فهى تقول حين تسأل عنها : إن القنبلة الذرية فى حجم علبة عيدان الكبريت ، وكانت حرارتها تبلغ ستة آلاف مرة حرارة الشمس ، وقد انفجرت فى الهواء وفيها شئ من الراديوم ، ولا أعلم تماماً كيف تعمل ، ولكن عندما يختلط الراديوم بنفسه تنفجر القنبلة . وكانت تقول إذا ما سئلت عن استعمالها : إنها الحرب ويجب أن نتوقعها ، ثم تضيف إلى ذلك قولها : « شيكاتا جاناى » وهى عبارة يابانية تجرى بها ألسنتهم فى العادة ، وهى تشبه كلمة « نيشفيو » الروسية أى : مالم يمكن تلافيه ، فليكن ، إنه أمر سئ . وقال الدكتور فوجى مثل هذا تقريباً عن استعمال القنبلة للأب كلاينسورج ذات مساء إذ قال له بالألمانية : « ليس لدينا مما نستطيع أن نعمله . »

على أن عدداً كبيراً من أهل هيروشيما ظل يكره الأمريكيين كراهة لا تمحوها الأيام . وقال الدكتور سازاكى مرة : « أراهم يحاكمون مجرمى الحرب فى طوكيو الآن ، وأظن أنه يجب أن يحاكموا الرجال الذين قرروا استعمال القنبلة ويقتلوهم جميعاً . »

وكان الأب كلاينسورج وغيره من القسس اليسوعيين الألمان ، وهم أجانب فينتظر أن يكون حكمهم سليما بعض الشئ ، كثيراً ما يتناقشون فى الناحية الأخلاقية لاستعمال القنبلة . وكتب أحدهم إلى الكرسى البابوى فى روما وهو الأب سيمس ، وكان متغيباً فى نجانسوكا عند إلقاء القنبلة : « يرى بعضنا أن القنبلة هى من طبقة الغاز الخانق وهم يعارضون فى استعمالها ضد الأهالى من المدنيين ؛ ويرى بعضنا أنه فى الحرب الاجماعية كما هى الحال فى اليابان لا يجب التمييز بين المدنيين والعسكريين ، وأن القنبلة هى قوة فعالة تؤدى إلى إنهاء إراقة الدماء وتنذر اليابان بالتسليم لتتقى الدمار الكلى . وقد يكون

من المعقول أن الذى يؤيد الحرب الاجماعية فى المبدأ لا ينبغى له أن يشكو حين تصيب المدنيين . والعقدة فى المسألة هى مشروعية الحرب الاجماعية بصورتها الحاضرة ولو كانت فى سبيل الحق . أليست لها مضار مادية وروحية تزيد على ماينتظر منها من خير ؟ وسى يمدنا الباحثون فى الأخلاق بالجواب الواضح عن هذه المسألة ؟ »

قد يكون من المستحيل معرفة الفظائع التى نقشت فى عقول الأطفال الذين عاشوا فى يوم إلقاء القنبلة على هيروشيما . لقد كانت ذكرياتهم فى مظهرها بعد أشهر من هذه الكارثة عبارة عن مغامرة عجيبة . فمثلا توشيو نكاسورا الذى كان فى العاشرة من عمره عند إلقاء القنبلة كان يستطيع أن يتكلم عن هذه المحنة فى حرية بل فى مرح ، وكتب قبل بضعة أسابيع من يوم الذكرى موضوعا إنشائياً صريحاً ، لمدرسه فى مدرسة نبورى تشو الابتدائية وفيه يقول : « ذهبت فى اليوم السابق للقنبلة للسباحة فى الماء . وفى صباح ذاك اليوم كنت آكل شيئاً من الفول السودانى فرأيت ضوءاً وقد ارتطمت بالمكان الذى كانت تنام فيه أختى الصغيرة . ولما أنقذنا لم أكن أرى إلى أبعد من الترام . وأخذت أنا وأمى نجمع حاجاتنا . وكان الجيران يسيرون حولنا وهم حرقى تنزف منهم الدماء . وطلبت منى هاتايا سان أن أفر معها ، فقلت إنى أريد أن أنتظر أمى . وذهبنا إلى الحديقة . وجاءت عاصفة وفى الليل احترق خزان للبترول . ورأيت انعكاس ضوئه فى النهر . ولازمنا الحديقة ليلة . وفى اليوم التالى ذهبنا إلى جسر تايكو وقابلنا صديقتىّ كيكوكى وموراكامى وهما تبحثان عن أخيهما ولكن كانت أم كيكوكى جريحة . أما أم موراكامى فقد ماتت ويا للأسف » .